دور كلية دار العلوم
في إشعاع الثقافة العربية والإسلامية محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا

تنهض دار العلوم ـ منذ أسَّسها علي باشا مبارك، ومنذ أول محاضرة ألقيت بها يوم الأحد ٨ مايو ١٨٧١م ـ برسالة تأصيلية تجديدية نهضوية تنويرية بالغة الأهمية وعظيمة التأثير واء في مصر والعالم العربي، أو على المستوى العالمي شرقًا وغربًا. وفيما يأتي إشارات موجزة:

أولا. لقد فتحت الدار أبوابها للدارسين وطلاب العلم الوافدين من الغرب والشرق دونما تمييز عرقي أو ديني:
فدَرَسَ المستشرق البريطاني إدوارد براون Edward Brown في دار العلوم لفترة من الزمن، وكان هذا المستشرق الكبير مؤسس الدراسات الاستشراقية عن التصوف الإسلامي في جامعة كيمبردج، وكان أستاذًا للمستشرق الكبير أرنولد نيكلسون الذي أشرف على كل من:

- الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، والباحث المصرى الكبير الدرعمي أبو العلا عفيفي، وكلاهما قد درَّس في جامعة كيمبردج.
- وكان نيكلسون أستاذًا للمستشرق الكبير أربري مترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية ترجمة جيدة، وكان أستاذًا للدكتور كمال جعفر، وعرفان عبد الحميد، وغيرهما.
- كان براون (الطالب الدارس) في دار العلوم على علاقة طيبة بالإمام محمد عبده الأستاذ بدار العلوم، وكان صديقًا وزميلاً للدرعمي النابغة حسن توفيق العدل الأستاذ في برلين، ثم في كيمبردج.

كما أن مدرسة الاستشراق في كيمبردج قد استلهمت روح الفكر التجديدي الدرعمي عبر مسالك عديدة مؤثرة منها طلب رائدها إدوارد براون العلم في دار العلوم، ومنها:

علاقة براون بالإمام محمد عبده الأستاذ بدار العلوم، وزمالة وصداقة براون لحسن توفيق العدل في مصر وفي كيمبردج، وتدريس الدرعمي النابه أبوالعلا عفيفي (زميل محمد إقبال، وأربري، وتلميذ نيكلسون - وزوج ابنته) في جامعة كيمبردج.

ثانيًا. تدريس عدد مهم من خريجي دار العلوم في جامعات الغرب، ومنهم:

- الشيخ حسن توفيق العدل الذي درَّس في برلين بألمانيا، وحقق هناك شهرة كبيرة جعلت إمبراطور ألمانيا "يمنحه وسام الإمبراطور، ويقلده له بيده". ثم درَّس في سويسرا، واستقربه الأمر في كيمبردج إلى جوار صاحبه المستشرق المؤسس إدوارد براون. واستمر يدرس المستشرقين إلى أن وافاه الأجل، وهو يحاضر في إحدى قاعات جامعة كيمبردج.
- الدرعمي العبقرى الشيخ عبد العزيز جاويش الذي درس في لندن وعمل أستاذا في جامعة أوكسفورد.
- الدرعمي أستاذ التصوف في كيمبردج أبو العلا عفيفي، أحد عمد تلك الدراسات في مدرسة كيمبردج.
- الدرعمي ذو الدور المؤثر محمد عبد الحليم أستاذ الآداب والدراسات القرآنية فى SOAS جامعة لندن، وهو صاحب مدرسة علمية مهمة في الغرب، ومترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، والحاصل على وسام الإمبراطورية من الملكة إليزابيث.

ثالثًا. الدور المؤثر لخريجي دار العلوم في اليابان والصين وإندونيسيا وشبه القارة الهندية، ومنهم:

- العلامة الأزهري الدرعمي محمد مكين الصيني الذي تضلع من علوم الدار، واتصل ـ وهو في مصر بمدرسة الإصلاح والتجديد ورجالاتها ـ وعاد إلى الصين فأحدث نهضة فكرية ملحوظة، وأسس أقسامًا للعربية وآدابها في جامعات الصين الكبرى، وترجم

معاني القرآن الكريم إلى الصينية. كما ترجم كثيرًا من الكتب الفكرية والعلمية إلى اللغة الصينية. وكان الرجل الدرعمي باعث نهضة فكرية فى الصين بشكل عام، وبين المسلمين بشكل خاص.

- علامة اليابان الكبير توشيهيكون أيزوتسو تأثر بفكر دار العلوم بصورة غير مباشرة.
- كوناكاتا تعلم في دار العلوم والتقى بأساتذتها الكبار، ودرس على أيديهم.
- الياباني الدرعمي أشرف ياسو، كان له دور مهم في التواصل الحضاري بين الثقافتين اليابانية والإسلامية.
- الدرعميان: عبد القهار مذكر، ومحمد رشيدي، كان لها في إندونيسيا دور عظيم في الإحياء الفكري والاجتماعي والسياسي، وقد تعاونا وتكاملا مع مفكر إندونيسيا الكبير محمد ناصر وتحملوا معًا مسؤوليات سياسية وفكرية واجتماعية معروفة في تلك البلاد.
- الدرعمي محمد يوسف نور ـ الذي حمل فكرة دار العلوم التجديدية إلى ماليزيا، وكان صاحب دور ورسالة في تلك البلاد.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد التي كانت الدولة المصرية ولا تزال تتكفل بشطر من ميزانيتها، يتمثل في إرسال أساتذة مصريين للتدريس فيها وإدارتها، وكان لدار العلوم النصيب الأوفى في القيام بهذا الدور النبيل؛ فقد تسنم مناصب رفيعة في تلك الجامعة من كبار أساتذة دار العلوم .. من رؤساء أقسام علمية ـ إلى عمداء ـ إلى رئيس للجامعة ـ إلى نائب رئيس لها.

وقد كانت رسالة هذه الجامعة امتدادًا لرسالة دار العلوم التجديدية التنويرية ـ تقدم لطلاب ينتمون إلى أكثر من ستين دولة في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا دور مجيد لمصر العزيزة لمنزل تؤديه بنبل وسخاء (وهو دور نبيل لدار العلوم حرص أساتذتها على بذله بتفانٍ وإخلاص لأبناء تلك البلاد.

- كما أن المستشرق كارلو الفونسو نكّينو (الإيطالي) قد دَرَسَ في دار العلوم ثم درس في كلية الآداب؛ واختير عضواً في مجمع اللغة العربية. وهو يعد من رءوس مدرسة الاستشراق الإيطالي، وقد كان لدار العلوم تأثيرها العلمي والمنهجي عليه، ومن ثم على المدرسة الإيطالية فى الدراسات العربية والإسلامية.
- ومعروف أن مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده التجديدية الإصلاحية قد كان لها تأثيرها الإيجابي على خارطة العالم الإسلامي كله من اليابان والصين ودول شبه القارة الهندية وإندونيسيا و دول وسط آسيا وروسيا ... إلخ.. وقد تأثر الإمام محمد عبده بدار العلوم بتتلمذه على أساتذتها، وتدريسه فيها.
- كما أفادت الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة بشكل وثيق من أساتذة دار العلوم، ويكفي أن نذكر من بينهم الأساتذة الدكاتره: حمدي السكوت، والسعيد بدوي، ومحمود الربيعي، وأحمد غنيم، ومحمد سراج.